

الكونية إشكالية فلسفية ... مقارنة بين كارل أوتو آبل ويورغن هابرماس

Cosmism is a philosophical problem ... an approach between karl Otto
Apel and Jürgen Habermasبورزاق يمينه¹، بن دنيا سعدية²¹ جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم (الجزائر)، yamina.bourezak@univ-mosta.dz² جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم (الجزائر)، bendeniasaadia@hotmail.fr

تاريخ النشر: 2021/06/30

تاريخ القبول: 2021/05/07

تاريخ الاستلام: 2021/04/09

ملخص

ارتبط مفهوم الكونية بالطرح الفلسفي بشكل مباشر منذ التفكير الفلسفي اليوناني، حيث سعى كل فيلسوف إلى تعميم مشروعه الفلسفي ومنحه طابعا كونيا، وهذا ما نلاحظه أيضا في الكتابات الفلسفية الكثيرة للفلاسفة ما بعد الحداثيين في كونية اللغة، كونية التواصل والمناقشة، كونية الإتيقا، كونية المسؤولية، وما سيتم معالجته في هاته الورقة البحثية هو إشكالية الكونية في المدرسة النقدية لفرانكفورت حيث سنقف على إشكاليتين أساسيتين كانتا أساس الطرح الفلسفي للجيلين الثاني والثالث لها، وتمثل كونية المناقشة أو التواصل وكونية الإعراف منعرجا جديدا في التفكير النقدي لحل أزمة الاغتراب والتشيؤ، حيث تهدف معالجة هذا الموضوع إلى تقديم الرؤى الفلسفية التي ساهمت في بناء وتأسيس فلسفة للتواصل والمناقشة، وكذا فلسفة للاعتراف وكونيتها على المستوى العالمي، والعمل على تحقيقها بين ذاتيا.

كلمات مفتاحية: الكونية، التواصل، المناقشة، الإتيقا، مدرسة فرانكفورت

Abstract

The concept of universality has been linked directly to the philosophical proposition since Greek philosophical thinking, whereby every philosopher seeks to generalize his philosophical project and give it a universal character, and this is what we also notice in the many philosophical writings of postmodern philosophers on the universality of language, the universality of communication and discussion, the universality of truth, the cosmic of responsibility, and what will happen His treatment in this paper is the universal problem of the critical school of Frankfurt, where we will stand on two basic problems that were the basis of the philosophical presentation of the second and third generations of it, and the universality of discussion or communication and the universality of recognition represent a new turning point in critical thinking to solve the crisis of alienation and objectification. Philosophical visions that contributed to building and establishing a philosophy of communication and discussion, as well as a philosophy of recognition and universality at the global level, and work to achieve self-actualization

Key words: cosmology, communication, discussion, ethics, Frankfurt School

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

عرفت الكونية إشكالية فلسفية تجليًا كبيرًا في مدرسة فرانكفورت وبخاصة فلسفة كل من هابرماس و كارل أوتو آبل، ويمكن ملاحظة ذلك في المساعي والأهداف التي سطرها هابرماس في التداولية الشكلية الشاملة، وآبل في التداولية الترنسندنتالية النهائية من خلال طرحهما لنظريتي أخلاق التواصل (هابرماس) وإتيقا المناقشة (آبل)، ولعل هذا المسعى الفلسفي نحو الكونية إنما هو محاولة كبرى لكوننة مفاهيم ذات قيمة معيارية تهدف في عمومها إلى فتح آفاق جديدة لاستحضار الآخر والإعتراف به كوجود أساسي يتشارك مع الأنا حيثيات اليوم، ويجسد ائتلاف وتعايش المختلف، ولمعالجة هذا الموضوع ارتأينا طرح الإشكال التالي: كيف نظّر كل من آبل وهابرماس إلى الكونية؟ وماهي تجلياتها في الفلسفة التواصلية الإتيقية لكل منهما؟

1. في التواصل، الحوار والنقاش:

شكّلت مدرسة فرانكفورت تنوعًا وتباينًا كبيرًا في الطرح الفلسفي لمثلها على الرغم من انطلاقهم من أرضية فكرية واحدة ومرجعية فلسفية خصبة تهدف في مجملها إلى نقد كل هو كائن والثورة عليه لتحصيل ما ينبغي أن يكون والتأسيس له كونيًا، وأهم ما ميزها خلال مسارها السجال الفكري الذي ظهر بين هابرماس ومواطنه كارل أوتو آبل الذي حاول فيه كل منهما منح نفس فلسفي وفكري جديد من خلال مشروعيهما في التواصل والنقاش عقب نقد وتمحيص وإعادة قراءة الإرث الفرانكفوني، وبذلك لم يخرج كل منهما عن المسار العام لهاته المدرسة، ويعكس التواصل والحوار والمناقشة في فلسفة كل منهما مدى حاجة الإنسانية إلى وجود رابط اتصالي بين الذات، يعزز من تداخل وتكاثف العلاقات الاجتماعية، وقد عولجت هذه المسألة منذ القدم نظرا لأن التواصل هو الآلية التي تفعل التداوت الإنساني.

ولعل الاهتمام البالغ الذي أولاه فلاسفة ما بعد الحداثة للتواصل والمناقشة كإشكاليات فلسفية يعكس أهميته خاصة بعد الشرح الذي أحدثته الحداثة في الأبنية الاجتماعية التي سادها اللاتواصل، واللاتفاهم، والإقصاء (أي منح أولوية الأنا على الآخر)، لذلك نجد حديث فلاسفة التواصل خاصة كارل أوتو آبل في مشروعيهما إتيقا المناقشة *l'éthique de la discussion*، وأخلاق التواصل *l'éthique de la communication*، بضرورة تعزيز هذه القيم التواصلية التي تفتح آفاق التداوت، ومنح الآخر المقصي حقه في ممارسة حرية الحوار والمناقشة، حديث عرف إسهاب كبير

خاصة في ظل الأزمات التي تسود عالم اليوم. فالحوار le dialogue أو المحاورة في اللغة " هي مراجعة النطق، وتجاوزوا، تراجعوا الكلام بينهم" (الخفاجي و صالح، 2017، صفحة 87) والحوار أيضا بالمعنى ذاته "محاورة، وحوارا، جادله، والمحاورة، المجاورة، أو مراجعة النطق والكلام في المخاطبة" (مذكور، 1983، صفحة 501) بين شخصين أو أكثر، فالحلقة الحوارية لا تسمى كذلك إلا إذا تضمنت مجتمع الحوار وموضوعه، وضرورة تحديد جملة المبادئ التي يسير عليها هذا الحوار، أما في الاصطلاح يعد الحوار "ضربا من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه، فهو المراجعة في الكلام ومنه التحوار، وهذا يعني أن الحوار هو مراجعة في الكلام ولكن بطريقة مؤدبة وبألفاظ حسنة فيها نوع من الود والحب" (الخفاجي و صالح، 2017، صفحة 87)، إضافة إلى ما سبق، الحوار هو نوع من التجاوب بين الأطراف حيث يسعى إلى " توليد الأفكار الجديدة في ذهن المتكلم (...) وفي هذا التجاوب توضيح للمعاني، واغناء للمفاهيم(...)" (مذكور، 1983، صفحة 501)، ويلتقي معنى الحوار بمعان لمفاهيم تتداخل معه كالجدل والمناظرة والنقاش لأن جميعها يتعلق بتبادل الآراء والأفكار.

أما التواصل la communication فهو العملية التي تعمل على نقل "معلومة (أ) إلى متلق (ب) بواسطة قناة اتصال (ج) وعلى الرغم من بساطة هذه العملية، فإنها تحمل رهانات ومفارقات، ذلك أن الرسائل المبلغة لا تتمتع دائما بالوضوح والدقة والمعنى المتفق عليه" (بغورة، 2009، صفحة 241)، فهو عملية يشوبها الغموض على الرغم من أنها تبدو الأكثر شفافية ووضوحا، فالتواصل يبني "على مبادئ أنطولوجية (...) لا يهدف إلى الإجماع، إن التواصل حسب هذه الرؤية ليس لعبة ذاتية وإنما لعبة تقوم على الاختلاف بين المعلومة والتوصيل، إن لها هدفا واحدا، هو التواصل نفسه الذي ينتج الإجماع كما ينتج الاختلاف" (الجابري، 2010، صفحة 39).

أما فيما يخص المناقشة أو النقاش la discussion، "النقش في اللغة معناه المحاسبة، الاستقصاء، أما في الاصطلاح فهو نوع من أنواع التحوار بين شخصين أو طرفين ولكنه يقوم على أساس استقصاء الحساب وتعرية الأخطاء وإحصائها، ويكون هذا الاستقصاء في العادة لمصلحة أحد الطرفين فقط، الذي يستقصي محصيا ومستوعبا كل ماله على الطرف الآخر" (الخفاجي و صالح، 2017، صفحة 89)، وهذا ما ذهب إليه غدامير في حديثه عن جدلية الأنا والآخر التي تبنى على "السؤال والجواب ودليلها المساءلة والتجاوب، استقصاء لا إقصاء وحوار لا تحوير، انطلاقا من الحوار الذي نحن عليه (...)" (غدامير، 2017، صفحة 27)، ما يجعل دائما باب النقاش وتبادل الآراء ومحاولة الإجماع حولها ممكنا ومفتوحا بين الأطراف المتحاور، بناء على "مبدأ المشاركة في تشكيل

معنى مشترك وبناء حقيقة جامعة وإدارة حوار مؤتلف ومختلف على قاعدة السؤال والمسئلة والجواب والتجواب" (غدامير، 2017، صفحة 28). عبر الوساطة اللغوية.

2. الكونية بين أخلاق التواصل وإتيقا المناقشة:

تميز التفكير الفلسفي النقدي الفرانكفورت في جيله الثاني بسجل فلسفي فكري جمع بين الفيلسوفين أبل وهابرماس، حيث ربط كل منهما محاولاته النقدية وموقفهما من الوضع المتأزم الذي يعيشه العالم الراهن بإشكالية أساسية هي التواصل، مبيّنين أن المشكلة المركزية التي تعترض البشرية هي مشكلة تواصل مع الآخر وانفتاح على هذا الآخر الغريب خاصة بعد الذاتية التي كانت عنوانا رئيسا للحدثا الغربية، وقد شكّلت فلسفة التواصل حيزا ضم في ثناياه القيم المعيارية والمفاهيم التي تُفعل التداوت الإنساني على رأسها الحوار، الأخلاق، المسؤولية المشتركة، الإنفتاح، العيش المشترك، التعدد وقبول الاختلاف... الخ خاصة بعد أحداث 2001/09/11.

إرتبط مفهوم التواصل في فلسفة هابرماس بمفهوم الكونية خاصة وأنه اعتمد في صياغته على مفاهيم تعكس الشحنة الكونية له كالفضاء العمومي، العالم المعيش، التعددية الثقافية، وبحكم خلفيته النقدية التي تنتمي إلى مدرسة فرانكفورت "يعد هابرماس جزءا أساسيا مما يسمى بنادي الخمسة الكبار والذي يضم مجموعة من أهم الفلاسفة المعاصرين والمتضمن كلا من بول ريكور وإيمانويل ليفيناس وجاك دريدا وكارل أوتو أبل (...)" (علوش، 2016، صفحة 82)، وقد كانت بدايته في مشروعه التواصل من نقده للحدثا الغربية التي رآها مشروعا لم يكتمل بعد، كما انتقد كثيرا العقلانية الغربية والعقل الأداتي متأثرا بجملة من الفلسفات والتيارات الفكرية كفلسفة اللغة ونظرية أفعال اللغة أوستين وسيرل، علم النفس لجون بياجي، الفلسفة الاجتماعية لجورج هيربرت ميد والفلسفة النقدية الأخلاقية لإيمانويل كانط، وبناء على ما سبق يمكننا القول أنه "ليس من السهل تتبع المسار الفلسفي لهابرماس فقد قدم نقد جذري لكل الأنساق الفلسفية المشخصة في أسماء محددة في تاريخ التفلسف الغربي وفي اتجاه آخر قام باستثمار المنعطف اللساني لتحقيق تلك التوليفة التي سماها بنظرية الفعل التواصل la théorie de l'agir communicationnel (تومي، صفحة 192)، التي جمع في طياتها أساسيات الخطاب التواصل وسبل الانتقال من العقلانية الأداتية إلى العقلانية التواصلية، فمصطلح "الأداتية عند هابرماس يحمل مضمونين أحدهما إنه يمثل أسلوب لرؤية العالم والمضمون الآخر إنه يمثل أسلوب لرؤية المعرفة النظرية، مما يوضح صلة العقل الأداتي

بالأغراض العملية" (حمدي، 2012، صفحة 133) والنتائج النفسية، فعقلنة التواصل بالنسبة له هي "استمهاض الإمكانية التحررية المتأصلة في عالم الحياة وتفعيلها ضد متطلبات النظام" (المحمداوي، 2015، صفحة 186)، وتمر هذه العقلنة حسب هابرماس بمستويين الأولى هو "مستوى الفعل النفسي الناتج عن تطور القوى الإنتاجية وتنظيمها تنظيمًا عقلانيًا وهي مهمته النظام الذي يعمل على تنسيق عمل الأفراد، أما الثاني هو مستوى التنظيم الأخلاقي للفعل الاجتماعي وذلك من خلال عقلنة التواصل والتأسيس لبنى تحتية قادرة على إدارة الحياة الاجتماعية" (المحمداوي، 2015، صفحة 186) بشكل أكثر سلاسة وانفتاح.

وفي بناء طرحه الفلسفي انطلق هابرماس مما خلفيته فلسفة الروح الهيجلية خاصة وأن هيجل صرح أن "الأنا بوصفها وعيا ذاتيا لا يمكن إدراكها إلا عندما تكون روحا، وهذا يعني عندما تنتقل من الذاتية إلى موضوعية العام، في الوقت الذي تكون فيه الذوات العارفة متحدة على قاعدة التبادل بوصفها ذواتا غير متطابقة" (هابرماس، 2002، صفحة 14)، بناء على قاعدة ازدواجية المعنى، وقد أضاف هيجل في حديثه عن علاقة الأنا والآخر قائلا: "من تجربة التفاعل أتعلم رؤية نفسي في أعين شخص آخر، فالوعي الذي لدي عن نفسي ذاتها مشتق عن تقاطع الآفاق. وعلى أساس الاعتراف المتبادل فقط يتشكل الوعي بالذات الذي هو ضرورة مرتبط بالانعكاس الذي يظهر عني في وعي الشخص الآخر" (حنيفي، 2006، صفحة 155)، مبيّنا أهمية الدور الذي يلعبه الآخر في التواصل، حيث تأثر هابرماس بالكتابات الهيجلية كاشفا في عمله النقدي عن بذور التواصل في تلك الكتابات مبينا أن هيجل "قد طور مفهوم الأنا بشكل تجاوز المفهوم الذي قدمه كانط، فإذا كان هذا الأخير ينظر إلى الأنا كوحدة خالصة تحيل إلى ذاتها حيث تشكل كوعي بالذات من خلال العلاقة التي تنشأ مع ذاتها (...) فإن جدلية الوعي بالذات لدى هيجل تتجاوز الأفق الضيق للعلاقة التأملية réflexive المنعزلة للذات مع ذاتها إلى ذات متفاعلة مع الآخر" (حنيفي، 2006، صفحة 154 155) في هذا العالم المعيش.

من خلال مشروعه الأخلاقي يرى هابرماس أن نزوعه نحو أخلة التواصل يمثل حلا لمشكل "تأسيس النظرية الأخلاقية بفضل استنتاج مبدأ الكونية إنطلاقا من افتراضات مسبقة وكونية للمحاجة (...) تدرج مبدأ أخلاقيا هو مبدأ الكونية principe d'universalité ويرمز له المبدأ (U) حيث عرفه بقوله: ينبغي على كل معيار ذي صلاحية أن يستجيب للشرط الذي بمقتضاه يمكن لكل النتائج والآثار الثانوية (...) أن تكون مقبولة من طرف كافة الأشخاص" (حنيفي، 2006، صفحة 149) وهذا ما يعكس أهمية الاتفاق حول المبادئ التي تحكم كل نقاش، لذلك ذهب هابرماس إلى تأسيس مبدأ

أطلق عليه مصطلح مبدأ الكونية يضم مجموعة من القواعد والمبادئ التي تحقق نجاحا للفعل التواصل البيني، وقد صاغ هذا المبدأ وفقا للقاعدة التالية: "على كل معيار أن يستجيب إلى الشرط التالي: أن تتأتى التبعات والآثار الثانوية بشكل قابل للتوقع من كون المعيار الذي تمت معانيته كونيا في سبيل إرضاء مصالح كل فرد، هذا المعيار يمكن أن يقبله كل الأشخاص المعنيون" (الخوني، 2009، صفحة 28)، وقد أضاف صياغة أخرى تخص مبدأ الفعل لخلق نوع من التكامل بين الذات والآخر جاءت كالتالي: "إفعل فقط وفقا للقاعدة التي تستطيع أن تتوقع لها بالفكر أنها قد تسمح في حوار فعل لو دار بين جميع الأشخاص المعنيين لقبولوا دون إرغام التبعات والآثار الثانوية والمتأتية بطريقة متوقعة من كون القاعدة قد تم النظر إليها في سبيل إرضاء مصالح كل فرد" (الخوني، 2009، صفحة 29)، مشيرا إلى ضرورة كونية هذا المبدأ بين كافة أطراف التواصل، لذلك منح هابرماس اهتماما لشروط أخلاقيات التواصل التي يجب مراعاتها خلال كل عملية تواصلية، حيث أشار أيضا إلى الدور الفاعل للحجاج والإقناع كآليتين مهمتين في تمحيص الحجج وبناء المواقف التواصلية.

وفي ربطه بن مفهوم التواصل والفضاء العمومي في إطار كوني، أعاد هابرماس قراءة المشروع الكانطي المتعلق بالسلام الدائم مقدما مفهوما جديدا للمواطنة في صيغتها الكونية بعد أن بين أن ما يعاب على موقف كانط حول السلام الدائم يحمل بعض النقائص خاصة وأنه قدمه للمثقفين دون غيرهم من العوام، إلا أنه قدم حلولاً وأفكاراً تمنح الحق للآخر الغريب، أو غير المنتهي تحت مسمى الضيافة مبينا أنها "فحسب الحق الذي لكل أجنبي في ألا يعامل داخل البلاد التي حل بها بوصفه عدوا" (بن شيخة المسكيني، 2006، صفحة 200)، بل فردا ومواطننا من مواطنيها، خاصة وأن الفضاء العمومي يحمل الكثير من الصفات والمميزات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الميزات "الإنشائية: فالفضاء العمومي يحتاج إلى توجيه الإنسان لذاته فكرا وعملا، وهو ما ليس ممكنا إلا بفضل معايير إنشائية معينة سيحددها هابرماس فيما بعد في قواعد أخلاقيات المناقشة، دون أن ننسى حقيقة الفعل الإنساني من جهة منطلقاته وغاياته وأساليب مداولته مع الآخر بخصوص الشأن العام، والأنطولوجية: وتتعلق بالمجال الذي يوجد فيه الكائن: تربة الوجود المشترك من أجل العيش المشترك. فوجود الفرد داخل الفضاء العمومي هو وجود الكائن داخل مجال مؤسس على مبادئ ومحكوم بقيم حارسة للإنسانية. والفرد يتمتع في هذا الفضاء بكل حرياته المتاحة والتي تنسجم مع العقل من أجل تنظيم هذا المجال تنظيما محكما يجعله متأرجحا بين المجتمع والدولة" (العلوي، 2014، صفحة 04)، باعتبارها حيزا وجوديا يضم جميع الذوات ويعمل على تنظيمها.

أما مواطنه كارل أوتو آبل فقد جمع في طرحه حو الكونية جملة من المفاهيم كالإتيقا، المناقشة والمسؤولية المشتركة أساسها الفعل التداوتي أو البينذاتي بحيث تفهم البينذاتية "بوصفها قانون أساس لفهم طبيعة العلاقة بين الذات وبين الموضوع مقابل لها قد يكون ذاتا أخرى أولا وكأنها أساس لمعرفة الغير" (فرحة، البينذاتية وأهميتها في فلسفة موريس ميرلوبونتي، صفحة 305)، كما تحيل أيضا في ما قدمه إيدموند هوسرل في خامس تأملاته الديكارتية إلى "المبدأ الأساسي للفهم المشترك للتفاعل بين موضوعين أنا والآخر، نحن والآخرين" (فرحة، البينذاتية في جدلية العبد والسيد، 2017، صفحة 364) فهي بهذا تمثل إنقثا واستحضارا لما كان مغيبا في فترات سابقة (المقصود هنا الآخر المقصي والمهمش).

من خلال مشروعه التأسيسي النهائي قدّم آبل الكثير من الإنتقادات لفلسفات الذات الحدائية، مقترحا مشروعا فلسفيا إنتقل فيه من فلسفة الذات/ الوعي/ العقل إلى فلسفة اللغة هو المشروع الترنسندنتالي البراغماتي، أين "يتم أخذ الهم العملي بعين الاعتبار، ينبغي أن يكون المقصود به هنا أننا نقبل قواعد التأسيس بحسب مصلحتنا العملية في إمكانية القبول بقضايا مشتركة معينة وإدخالها في الحوار" (أبسالون، 2009، صفحة 148) بهدف تعزيز التعاون البيني بين أطراف هذا الحوار، كما رفض آبل أيضا ما قدمته العقلانية التقليدية حيث وضع موقفها الناقد له، "في امتحان ميتانقدي métacritique يقوم على تطبيق العقلانية النقدية على ذاتها، فهو لا يهدف إلى أن يضع موضع تساؤل مبدأ الامتحان النقدي بل هو يريد التحري عن شروط إمكان نقد صالح بصفة بيذاتية، أي عن شروط إمكان اختبار المعرفة العلمية وكذلك نقد المعايير الأخلاقية" (حنيفي، 2006، صفحة 229)، حيث بيّن أن الهدف من وراء هذا الامتحان الإجرائي ليس هو البحث في أصل المعرفة، إنما هو توضيح "أن البداهة المعرفية كما هي، ورغم ضرورتها فهي مقتصرة على الوعي الذي لدينا عن هذه البداهة، كذلك لا يمكن للجهاز المفاهيمي للنظرية التقليدية للمعرفة أو الوعي تبيان كيف يمكن تحويل البداهة المعرفية، بداهة الأحكام المتعلقة بالتراكيب المفهومية للأفكار لوعي معطى، إلى صلاحية بينذاتية لقرارات مصاغة في منطوقات" (حنيفي، 2006، صفحة 229) لذا عمد آبل إلى التأسيس وتحويل الفلسفة من الوعي إلى اللغة باحثا عن طابع فلسفي يكمل فلسفة العلم اللغوية، وبيّن أن مشروعه التأسيسي قائم على ركيزتين أساسيتين تمثلتا في البينذاتية والمناقشة الحجاجية وبوجودهما كأساس بناء مشروع آبل في إتيقا المناقشة "التي ترجع في الحقيقة إلى ما يسميه آبل بإجرائية ترنسندنتالية pragmatique transcendante، تجمع شروط مناقشة أطروحات ومبادئ

عملية في المجالين الأخلاقي والسياسي بحثا عن امتحان مشروعيتها ومعقوليتها وصلاحياتها" (العتيري، 2009، صفحة 113) من خلال التجربة الحية المعاشة.

تعتبر نظرية إتيقا المناقشة حسب أبل "وبالإضافة إلى أنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمسؤولية، بحيث تظهر علنا بأنها فلسفة إلزام وقيم، فإنه وبموجب إجابة تختزل البعد التداولي-الترنسندنتالي، على هذه الإتيقا أن تضع موضع تساؤل مجموعة من الافتراضات الأنموذجية المتجذرة في الفلسفة الغربية، وتحديدًا الفلسفة الغربية الحديثة" (يورغن، 2010، صفحة 12)، أبرزها الأنانة solipsisme المنهجية أو الترنسندنتالية "للعقل المنحدرة إلينا من ثنايا الفلسفة الفينومينولوجية لهوسرل، والمرتبطة بمطلقية العلاقة ذات - موضوع في مجال المعرفة" (apel, ethique de la discussion, 1994, p. 33)، كما دعا أبل أيضا إلى ضرورة "النظر إلى اللغة والتواصل بما هما عنصران ثانويان ووظيفيان قياسا بالفكر الذي يتميز أساسا بأنه فكر متفرد ومستكفي" (apel, ethique de la discussion, 1994, p. 33) واعتبر أبل أن هذين الافتراضين "على درجة متقدمة من الإرتباط ببعضهما بعضا لجهة أنهما لا يسمحان للتوجه التداولي - الترنسندنتالي سالف الذكر، بإقامة علاقة داخلية تكاملية معهما بين العلاقة ذات-موضوع sujet-objet، والعلاقة ذات - ذات مشتركة أو جمعية sujet-cosujet، يستتبع ذلك أن مفهوم اللغة ذاته لن يعود وسيطا مهما داخل لعبة العلاقة ذات-موضوع، بل إنه يلعب دور المراقب لإستقرار هذه العلاقة" (يورغن، 2010، صفحة 13) ويحافظ على وتيرة العملية الحوارية.

في موقفه من كونية النقاش انتقل أبل من تجاوز الأنانة المنهجية إلى توضيح الدور المهم الذي تلعبه المناقشة الحجاجية أو دور البرهان والإقناع في المناقشة، "حيث لا يمكن التحكم في صحة الحجج المنطقية دون الافتراض المسبق من حيث المبدأ بوجود جماعة من الذوات القادرة على تحقيق التفاهم البينذاتي وبناء على توافق الآراء والأهداف" (apel, transformation de la philosophie 02, 2010, p. 571) أين يعتمد هذا التواصل البينذاتي للذوات في "المقام الأول على تبرير الأقوال اللغوية بالحجج الفعالة" (apel, transformation de la philosophie 02, 2010, p. 571) حتى يحصل الإجماع والتوافق، بناء على "اعتراف جميع الأعضاء كشركاء بالحقوق المتساوية في المناقشة" (apel, transformation de la philosophie 02, 2010, p. 572) استنادا إلى قاعدة أخلاقية، ومزاعم الصلاحية المؤطرة للتواصل البينذاتي، فغياب قاعدة الصدق مثلا "سيجعل الحوار بين الموضوعات المثيرة للنقاش والمحااجة أمرا مستحيلا وبشكل واضح (apel, transformation de la philosophie 02, 2010, p. 572) ما يصعب

مسألة تبرير الحجج واستغلالها وبناء على ما تقدم يمكننا القول "أن الإجماع في الممارسة التواصلية يقوم على الاعتراف التداوتي بإدعاءات الصلاحية القابلة للنقد ما يعني أن الاتفاق المتحصل عليه بطريقة تواصلية عملية إجرائية تستند إلى الحجج" كما عاد آبل لثمين دور الإقناع في الحجاج لأنه "يعد إستراتيجية في خطاب المناظرة، حيث تبرز في هذا الأخير سمات الكفاءة التداولية والقدرة على توظيفها طبقا لما يتطلبه السياق، من أجل بلوغ هدف الخطاب الكلي الذي يصبو إليه" (بكاي، 2017، صفحة 269) مجتمع الحوار، حيث قدّم آبل أفكارا لتأسيس مبادئ أخلاقية، أين رأى بضرورة "البدء من الحقيقة الأساسية للغة أو بشكل أكثر تعينا من جماعة اللغة أو جماعة التواصل والنقاش، فطبقا له كان إغفال هذه الحقيقة اللغوية هو العيب الأساسي لكل النظريات الأخلاقية السابقة، مما أدى بكل واحدة منها بشكل غير معتمد إلى ضرب من المناجات الذاتية، أو نوع من الفكر الاستبطاني غافلا عن نتائج اللغة المشتركة التي يجب أن يتفلسفوا بها وفيها على أي حال كان" (س.ريس، 2009، صفحة 93)، مؤكدا على التوجه نحو الاهتمام بالرباط الإستعمالي للغة، كما أشار أيضا إلى المبادئ الأساسية التي تحافظ على سلاسة المناقشة متمثلة في مزاعم الصلاحية الأربعة، "تلك المتعلقة بالمعنى meaning، الصلاحية truthfulness، الحقيقة truth، تقريرية الصحة normative correctness" (س.ريس، 2009، صفحة 93)، حيث ينتج عن العمل بهذه المزاعم خلق مبادئ إتيقية تمنح الذوات فرص الحوار المتكافئ للتوصل للإجماع.

بناء على مبدئين أساسيين طرحها آبل لنجاح المناقشة هما مبدأ الكونية principe universelle ومبدأ المناقشة principe de discussion، وبالنسبة لآبل يأخذ "مبدأ الكونية الذي يتولى في المناقشات العلمية دور قاعدة محاجة مكان الأمر المطلق، ويتم ربط زعم صلاحية المعايير باتفاق كل المعنيين بصفتهم مشاركين في مناقشة عملية" في حين أن "مبدأ المناقشة فإن آبل دعا إلى ضرورة اللجوء إليه في حالة خلاف أو اختلاف وضرورة حل تطبيق حل الحجاج للخروج من الإحراج ولمنع العنف" (العتيري، 2009، صفحة 117)، الذي يمكن أن يحصل نظرا لعدم احترام معايير النقاش أو الإخلال بها، وينص "مبدأ المناقشة على أنه لا يمكن لأي معيار أن يدعي الصلاحية إلى إذا تمكن جميع الأشخاص المعنيين من الاتفاق عليه (...) بوصفهم مشاركين في مناقشة عملية حول صلاحية هذا المعيار" (حنيفي، 2006، صفحة 153)، وقد صاغ مبدأ الكونية وفقا للقاعدة التالية: "افعل فقط وفق القاعدة التي تستطيع أن تتوقع لها، على صعيد الفكر، أنها يمكن أن تسمح، في حوار واقعي، لو جرى بين جميع الأشخاص المعنيين، بقبولهم دون إرغام كل التبعات والآثار الثانوية

المتأنية بشكل قابل للتوقع من أن النظر إلى القاعدة قد تم في سبيل إرضاء مصالح كل فرد على حده" (الخوني، 2009، صفحة 29) ومن خلال مضمون هذه القاعدة نلاحظ "أن إتيقا الحوار تستجيب (...)
إلى إتيقا المسؤولية، وإن كان الفعل وقناعة الفاعل هما المحددان للمبدأ في الصياغة الكانطية فإن
صياغة آبل تنص على مسؤولية الفاعل اتجاه تبعات فعله وآثاره" (الخوني، 2009، صفحة 29) رابطا
بين كونية إتيقا المناقشة، وإتيقا المسؤولية المشتركة.

خاتمة:

ما يمكن أن نخلص إليه في ختام هذه الورقة البحثية هو القول بأن الهدف الأساسي لكل من
آبل وهابرماس هو بلوغ كونية التواصل والنقاش كمفاهيم أكسيولوجية من شأنها فتح آفاق العيش
معا من خلال الاعتراف بالآخر ومنحه فرصة تشارك العالم المعيش رفقة الأنا التي سيطرت فترة
سابقة من الزمن، حيث تخلصت الذات من الأنانية وتوجهت نحو البين ذاتية وترسيخ الحوار
والتفاهم، ولعل كونية التواصل والنقاش، إتيقا والمسؤولية المشتركة إنما هي خروج الذات الإنسانية
من بوتقة التأزم وانعتاقها من قيود الأدوات وسيطرت العلم.

المراجع والمصادر:

1. karl otto apel .(1994). ethique de la discussion). mark hunyadi (المترجمون) paris: cref paris.
2. karl otto apel .(2010). transformation de la philosophie 02). pol vandevelde ، paris: cref paris. (المترجمون)
3. إبراهيم مذكور. (1983). المعجم الفلسفي. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأمريكية.
4. أبو النور حسن أبو النور حمدي. (2012). يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل (الإصدار 1). بيروت: دار التنوير.
5. إدموندس أيسالون. (2009). راهن الإشكاليات الفلسفية مشكل غاية التأسيس وعقلانية الفلسفة. (أبو يعرب المرزوقي، المترجمون) أريانة: الدار المتوسطية للنشر، مؤسسة محمد بي راشد آل مكتوم.
6. الزواوي بغورة. (2009). ما بعد الحداثة والتنوير الأنطولوجية التاريخية دراسة نقدية (الإصدار 1). بيروت: دار الطليعة.
7. اليامين بن تومي. (بلا تاريخ). مفهوما النقد والتواصل عند يورغن هابرماس. الخطاب (17).
8. أم الزين بن شيخة المسكيني. (2006). كانط راهنا أو الإنسان في حدود العقل (الإصدار ط1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
9. جميلة حنفي. (2006). يورغن هابرماس من الحداثة إلى المعقولة التواصلية. الجزائر: الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية.
10. رجاء العتيري. (2009). من كانط إلى كارل أوتو آبل نحو أخلاقيات النقاش. أوراق فلسفية (23).

11. رشيد العلوي. (نوفمبر، 2014). الفضاء العمومي من هابرماس إلى نانسي فريزر. داتا (2).
12. رومان س.ريس. (2009). أخلاقية النقاش عند كارل أوتو أبل. أوراق فلسفية (23).
13. علي عبود المحمداوي. (2015). الإشكالية السياسية من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل (الإصدار 1). الجزائر، تونس، بغداد: منشورات ضفاف، كلمة، دار ومكتبة عدنان.
14. محمد الخوني. (2009). كونية الإتيقا من كانط إلى هابرماس وأبل. أوراق فلسفية (23).
15. محمد بكاي. (2017). أرخبيلات ما بعد الحداثة رهانات الذات الإنسانية: من أسطورة الانغلاق إلى قرار الانعتاق (الإصدار 1). بيروت: دار الرافيدين.
16. محمد عابد الجابري. (2010). التواصل نظريات وتطبيقات (الإصدار 1). بيروت: الشبكة العربية.
17. محمد فرحة. (2017). البنذاتية في جدلية العبد والسيد. تشرين للبحوث والدراسات العلمية، 24 (04).
18. محمد فرحة. (بلا تاريخ). البنذاتية وأهميتها في فلسفة موريس ميرلوبونتي. جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية (03).
19. مصطفى كريم الخفاجي، وعقيل محمد صالح. (2017). مفهوم الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإنساني. مركز بابل للدراسات الإنسانية، 7.
20. نور الدين علوش. (2016). فلسفة السلطة السياسية عند هابرماس (الإصدار 1). بيروت: دار الرافيدين.
21. هابرماس يورغن. (2010). إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة (الإصدار ط1). (عمر مهيبل، المترجمون) الجزائر - بيروت: منشورات الاختلاف / الدار العربية للعلوم ناشرون.
22. هانز جورج غدامير. (2017). فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف (الإصدار 3). (محمد شوقي الزين، المترجمون) الجزائر، بيروت: منشورات الاختلاف، دار الأمان.
23. يورغن هابرماس. (2002). العلم والتقنية كأيدولوجيا (الإصدار 1). (حسن صقر، المترجمون) كولونيا: منشورات الجمل.